

الفلسفة

موقفنا من البشرية

يقام مجاهد عبد المنعم مجاهد

يعتقد « ان الاسماك كشكل من اشكال الحياة ، قد سبقت الحيوانات التي تعيش على اليابسة وان الانسان على ذلك كان سمكة في يوم من الايام ولكن ما ان ظهرت الارض اليابسة حتى لاءمت بعض الاسماك نفسها للحياة على الارض » (١) . . وكان هذا انتصارا علميا ضخما سبق به داروين بالفين من السنين . . وذلك لان الفلسفة في ذلك الوقت كانت تعم نظرتها للكون من خلال الواقع الموضوعي الذي يسلح الانسان بفهم الواقع ليسيطر عليه ، خاصة ان « كانت الكلمة الاغريقية للحكمة Sophid ما زالت تعني في ذلك الوقت المهارة الفنية لا التكهن المجرد » (٢) . وكان تعميم مثل الذي اتخذه الفيلسوف كديمقريطس من ان الضرورة رسمت مصائر كافة الاشياء ما كان منها وما هو كائن وما سيكون انما « بهذه العبارة قد اعلن لأول مرة مذهب عدم فناء المادة ومذهب سيادة القانون على كافة ما في الكون » (٣) . . وكان ظهور التيار المثالي رجعة بالنسبة للانسان والفلسفة والعلم . . فقد قلل من فاعلية العلم باعتبار ان المخلوقات هي ظلال لعالم المثل الحقيقي ، واخر من الفلسفة باعتبارها سلاحا للعلم فصارت سلاحا ضده . . واخر الانسان في تقدمه للسيطرة على الطبيعة والواقع .

ورضعت الفلسفة تيارا مثاليا ضخما ابان العصور الوسطى وتأخر السير الانساني بسبب منطق ارسطو الشكلي الفين من السنين حتى اتيح للتيار العلمي الذي بداه فلاسفة اليونان الاول ان يعاود بعض نشاطه لخدمة الانسان وتفهم وجوده تفهما موضوعيا على يد فيلسوف مادي كبير هو سبينوزا Spinoza العظيم * . اول فيلسوف حاول ان يحدد الحرية الانسانية تحديدا علميا بانها التفهم الموضوعي للضرورة . . وهو نفس التعريف الذي ارتضاه لنفسه بعد ذلك هيغل وكل صاحب نزعة علمية ولم يتدعم تيار سبينوزا بسبب تدعيم العصر وخلفاء العصر

(١) المصدر السابق ص ٤٤

(٢) المصدر السابق ص ٩٦

(٣) المصدر السابق ص ٧٧

(*) لا نجد في كتب تاريخ الفلسفة اهتماما بسبينوزا ، واذا حدث هذا الاهتمام فانما يوجه الى وحدة الوجود Pantheism عنده ما جنبها الصوفي لا المادي ومن ثم يزداد عدم ايصال هذا الفيلسوف الكبير للناس . .

تاريخ * الفلسفة - كتاريخ الانسان - مليء بالعذاب والمعوقات والظلام لكنه تاريخ ايضا وضيء مليء بومضات الفرح كلما تغلب الانسان على الصعوبات . . لقد عانت الفلسفة الشيء الكثير في تاريخها على ايدي الفلاسفة الذين يقفون في وجه الانسان وتقدمه ، لكنها عرفت كيف تواصل طريقها وتشقه من اجل ان تحقق مجد هذا البشرى الخلاق وتساعد في تدعيم حضارته وبناء جنته على الارض . . فقد عرفت الفلسفة ايضا فلاسفة كانوا مع الانسان لاضده ، ووقفوا في صفه مهما لاقوا من عذاب واضطهاد . .

لقد عانت الفلسفة الكثير على ايدي فلاسفة حاولوا تأخير تقدم البشرية كسقراط الذي كان بدء تغذية التيار اللاعلمي الذي امد كل الفلسفة المثالية التي جاءت بعده على يد افلاطون وارسطو اللذين سنا لحكام اثينا - فلسفيا - مشروعية التفرقة بين الهيولي matter والصورة forme وان الصورة هي الشيء المهم ، وبالتالي لكي يتسيد السادة على العبيد . . ولقد « كان سقراط يثبط العزائم ويعزفها عن البحث عن اسرار الطبيعة ، واستبدل بالعلم الايجابي كمثل اعلى نظرية عن المثل وثيقة الارتباط بالايمان بالنفس ككائن خالد يحمل بصورة مؤقتة في مأوى من طين . . وهدف الى تفسير التاريخ الانساني تفسيرا قديرا ، واعتبر العدالة فكرة ابدية منفصلة عن الزمان والمكان والظروف (١) وكان هدف تيار سقراط - افلاطون - ارسطو ان يعوق التيار الفلسفي العظيم الذي كان يقف مساندا الانسان ليتغلب على المصاعب التي تواجهه الا وهو تيار الذين امنوا بوجود واقع موضوعي خارجي له قوانينه المستقلة عن الانسان وهو تيار فلاسفة مثل طاليس وانكسمندر وهير قليطس . . وكان من اهداف التيار المثالي ايضا ان يعوق الفلسفة من ان تكون سلاحا للعلم الاغريقي الذي كان يتعد عن الغيبيات والذي يؤمن بسيطرة الانسان على الطبيعة . . وكانت هذه المساندة بين الفلسفة المادية في القديم اليوناني وبين العلم ان استطاع واحد مثل انكسمندر ان

(*) المقالات والقصائد التي سننشر في الاداب ان هي الا مقالات واشعار كتبها حتى نهاية عام ١٩٥٩ فانا الان قد توقفت عن كل كتابة لمراجعة الحصيلة الثقافية ، وتفرغا للدراسة الاكاديمية . . وارجو العودة بعد تنفيذي لبرنامجي الثقافي . .

(١) فارتون : العلم الاغريقي «ترجمة احمد شكري سالم» ص ١٠٦

ليس لها سند حقيقي لان القوانين أن هي الا قوالب في عبارة عن مقولات ملكة الفهم Categories of Understanding وأصبحت الفلسفة عند كانت هي هذا البحث في ملكات النفس العاقلة .. وكان هذا خطوة نحو اقتصار الفلسفة على نظرية المعرفة لكنه كان على حساب الفلسفة والانسان ، فقد ظل الطابع المثالي لمثل هذه المحاولة ..

ثم تطرفت الكانتية في شكلها الذاتي المثالي عند فيخته الذي كان يرى ان الانا لكي تدرك ذاتها تضع نقيضها الذي تقاومه وهو اللأنا non - ego ومن الانين تتولد الانا العليا .. ولما كانت الانا المانية كان الجنس الالماني هو خيرة الشعوب !! وقد انتظر فيخته نهاية القرن التاسع عشر لكي يركب شرايينه في قلب نيتشه ، ونهاية القرن العشرين حتى تمجده نازية هتلر ..

لكن علينا ان نتذكر وجود جانب رائع في فلسفة كانت، فقد اعترف بوجود العالم الخارجي حيث يذكر في كتابه « نقد العقل الخالص » Critique of Pure Reason « ليس هناك شك في ان كل معرفتنا تبدأ بالتجربة ، لانه كيف يتأتى لملكة المعرفة ان تزاوّل نشاطها الا عن طريق الاشياء التي تؤثر في حواسنا » .. (1) فكانت يعترف بان ملكتنا العقلية ، انما تشتغل على التجربة الخارجية .. كما ان هناك جانبا اعظم في فلسفته كان بذرة الهام لتيار جديد في الفلسفة بدأ بهيجل بدءا مثاليا لكنه اكتسب

Kant: Critique of Pure Reason p. 25

(1)

مجموعة النقد الادبي

تعرض مختلف الفنون الادبية

ق.ل

- ١ - فن القصة تأليف : الدكتور محمد يوسف نجم ٢٠٠
- ٢ - فن الشعر « : الدكتور احسان عباس ٣٥٠
- ٣ - فن السيرة « : « « « ٢٠٠
- ٤ - فن المقالة « : الدكتور محمد يوسف نجم ٢٠٠

الناشر : دار بيروت

لفيلسوف شبه رجعي هو ديكرات الذي كان عظيما في منهجه العقلي فحسب ، وكان رجعيا في فلسفته وورث تلك الثنائية في تفسير العالم عن افلاطون وردد قولته من وجود المادة من جهة والروح من جهة اخرى ولم تفلح غدته الصنوبرية من الربط بين العالمين .. بينما كانت واحدية Monism سبينوزا وان خارج الكون لا يوجد شيء اقترابة كبيرة من قلب الانسان لاجل هذا الانسان .. وكان التيار العلمي يتدعم ايضا في انجلترا اول بلد ظهر فيه التيار المادي بمعناه الحقيقي على يد بيكون ثم هوبز الذي منهج مادية بيكون .. وكان هدف التيار ان يخدم انسان العصر في تفهم الظواهر في استقلالها عنه لكسي تزدهر التجربة ويبدأ النشاط الصناعي الذي كانت تحتمه الظروف الاجتماعية . وكان كتاب « الالة الجديدة » Novum Organum هو وريث روجر بيكون والحسن بن الهيثم ومتطلبا لظروف العصر في انجلترا ، ففلسفة هذا التيار « عبرت عن الثورة ضد مقولات Category التفكير الاقطاعي - العلة الاولى first Cause والاشكال الجوهرية وما الى ذلك - التي تقف في وجه تفهم العلة الحقيقية والقوانين الحقيقية لحركة الظواهر الطبيعية » (1)!

ثم استمر هذا التيار عند جون ستيورت مل Mill خاصة في المنطق وحده .. (***) .. وذلك لتدعيم المنطق الاستقرائي ضد المنطق الشلكي عند ارسطو .. ومالست الفلسفة الى ان تتخلى عن طابعها كمذهب System لكي تتركز وتقتصر على المنهج method وكان ظل هذا التيار فيه بعض الثغرات .. وكان يعوق هذا التيار فلاسفة انجليز كانوا بدء تيسار مثالي اقتضته بعض القطاعات في المجتمع الانجليزي اذ ذلك الا وهو تيار بركلي - لوك - هيوم الذين بدأوا يشككون في وجود العالم الخارجي الحتمية في الواقع الموضوعي .. وان العالم الخارجي من تصور الذات لكي يقفوا - سواء عن قصد او عن غير قصد - ضد الانسان والتحكم في مصيره .. وكان ان وصل هذا التيار الى « المثالية الفردانية Solipsism فتسجن الفيلسوف داخل نطاق وعيه الخاص ، ضمن احساسه وفكرته وفعله ، كدودة القز في شرنقتها بنفسها » (٢) ..

وتابع التيار المثالي في المانيا فيلسوف شبه رجعي هو كانت Kant الذي ابقى على شيء في thing - in - itself مجهول في العالم .. وان القوانين الموجودة في الواقع

(1) Cornforth: Science Versus Idealism p. 15

(**) مما لا شك فيه ان ستيورت مل كان حلقة كبيرة في سلسلة المذهب النفعي الفردي - على العكس ما يزعم هو من نفع عام - وكان بدء اكثر الفلسفات دمارا للانسانية الا وهي الفلسفة البراجماتية .. لكن تظل ملل عظيمة منطقة الاستقرائي .

(٢) غارودي : النظرية المادية في المعرفة ص ١٣

ترجع بنا الورا إلى عهد المذهبية التي كانت الفلسفة تناضل لتتخلص منها محاولة ان تحيل المشاكل التي كانت تبحثها الفلسفة الى العلم . .

وما البرجسونية الا الشكل الكبير في القرن العشرين الذي يتدمع فيه هذا التيار المثالي ، وهي ردة الى المذهبية (وان كانت تنكر المذهبية شكلا) والى الثنائية الديكارتيية المدمرة والى العداوة للعلم . . بزعم ارجاع الروح الى هذا الانسان في العصر الالي . . ناسية ان التنظيم الاجتماعي للالة وليست الالة نفسها هو سبب ضياع اناس مثل اليوت ولورانس وبرجسون وكامو . . و « ان برجسون انما يحاول ان يصف عالما العقل فيه له دلالة وهو حقيقي ، لكنه يخلق عالما يصبح العقل فيه الة (كاملة) بدون عقل ، لانه يفصله عن المادة ويشغل عليها كعضو » (١) . .

وما الوجودية الا برجسونية سنوات الحرب . . مستغلة ذلك المنهج المدمر الشعوري الذي ابتدعه فيلسوف مثل هوسرل Husserl والذي لا ينظر الى الحقيقة نظرة موضوعية . . ان الوجودية مثالية تغير جلدتها ، لكن جوهرها يكشف وقوفها ضد العلم وضد التاريخ وضد الموضوعية وضد التقدم ، لان واحدا مثل سارتر يذكر في كتابه « الوجودية فلسفة انسانية » بانه ليس هناك تقدم بالنسبة للبشرية وانما هناك مجرد تحسن .

والبرجماتية ان هي البرجسونية امريكا مدموغة بالطابع النفعي الفردي ، والتي تشربت بنفعية مل هازمة دمار الحقائق الموضوعية . .

وما هذا التجدد المستمر في اشكال المثالية في القرن العشرين الا محاولة دائبة لدحض التيار الاخر . . تيار النزعة العلمية . . وهذا التيار المثالي احيانا يكشف عن وجهه الصريح في المعاداة فيقف ضد العلم صراحة كما هو الحال عند الوجوديين وخاصة ياسبرز واحيانا ما يغلفها بطابع الدفاع عن العلم كما هو الحال عند اخبث منطق رآه الانسان عند الوضعية المنطقية . . فهي تزعم انها تريد الغاء الفلسفة الغيبية لصالح العلم وستبقى مهمتها هي التحليل المنطقي اللغوي للجمل العلمية . . لكن هذه المحاولة ان هي الانزعة عدم رضاء عما يقرره العلم . . وبث الذاتية في نطاق الموضوعية « فان فتحشتين Wittgenstein يقول بان القضايا لا معنى لها منفصلة عن تحقيقها فسي تجربتي ، وان العالم هو عالمي » (٢) . . و « ليس منهج التحليل في الواقع منهجا للتحليل على الاطلاق ، بل مجرد منهج التأمل » (٣) . .

وبهذا تكون الوضعية المنطقية والنظرية الذرية Atomism عند رسل البركليية القرن العشرين . .

اذن « فجميع الاشكال التي جاءت فيما بعد : الفلسفة الوضعية ، وفلسفة الذرائع ومفترعاتها : الفلسفة الدلالية ،

طابعا علميا على ايدي فلاسفة حاولوا مجد هذا الانسان . . فقد قسم كانت مقولات الذهن الاثنتي عشرة الى اربعة اقسام في كل قسم ثلاثة مقولات . . وقد استرعى نظر هيجل ان كل ثلاثة عبارة عن اثنتين متعارضتين والثالثة مركب لهما ، فمثلا ، مقولات الكم Quantity هي : (١) الوحدة Unity (٢) الكثرة Plurality (٣) الكلية Totality فالاولى هي الاطروحة thesis والثانية هي النقيض antithesis والثالثة هي المركب Synthesis فيث هيجل الدينامية في هذه المقولات الثابتة المرصوفة عند كانت . . وكان ان اكتشف ان اية ظاهرة هي ظاهرة متحركة وليست جامدة وان هناك قانونا مستقلا يتحكم في هذا التحرك او هذه الصيرورة Becoming وتم التوحيد بين الوجود Being والمنطق Logic وتم لاول مرة الغاء الميتافيزيقا Metaphysique وكان هذا نصرا كبيرا في تاريخ الفلسفة ونصرا كبيرا في تاريخ الانسان ، واصبحت الفلسفة بتمامها متجهة الى ان تقتصر على المنطق ، على منهج البحث . . ولم يكن يعيب هيجل الا كونه فيلسوف الذهن لا الواقع . .

وفي اثناء هذا التقلص في مدى مجال الفلسفة لكي يقتصر على المنهج ، على المنطق ، اتسعت رقعة العلم . . وكانت الفلسفة كلما قل نطاقها ، ازدادت اهميتها ، فهي تعميم لقوانين العلم . . وكانت الفلسفة كلما قل نطاقها ، ازدادت اهميتها ، فهي تعميم لقوانين العلم ، وهي بحث في مناهج البحث ، لكي تصل الى القوانين العامة للواقع لا بالطريقة الغيبية القديمة ولكن بدءا من العلم وتسليحا للعلم واقرار اهميته . .

لكن سيادة النزعة المادية الميكانيكية في القرن التاسع عشر وعدم تنظيم العلاقات الاجتماعية بين الافراد تنظيما عادلا نتيجة للتوسع في الانتاج الالي ساعدا على قيام نزعتين متطرفتين : النزعة الاولى تحاول ان تنزع عن التيار المادي ميكانيكية ديكارت ونيوتن وذلك عن طريق التفهم الاعمق لحركة الواقع مستغلة منطق هيجل ونازعة عنه تصوفه . . والنزعة الثانية نجد فيها كل اشكال المثالية وهي تحاول بشتى الاتجاهات ان تبث الهواء في رنتها المسلوقة المثقوبة ، وهي تحاول بهذا ان تعوق العلم وتعوق الانسان وتقدمه . . زاعمة انها بهذا تريد ان تنتشل روح الانسان وتنتشل الفلسفة من هوة الضياع . . لكنها في الحقيقة انما تغمد السلاح في صدرها . . فمعاداتها للعلم ان هي الا معاداة للانسان وبالتالي معاداة للتقدم والرقى . . وهي تريد ان تعوق السير الفلسفي الطبيعي من التوحيد بين المنطق ونظرية المعرفة (من الواضح ان هذا المنطق ليس هو المنطق الشكلي الارسطي ، وليس هو المنطق المثالي عند برادلي وبوزنكيت Bosanquet وليس هو المنطق الرمزي بل وليس المنطق الرمزي الخبيث عند رسل وليس هو المنطق المفرق في الارسطية بشكل معاصر عند الوضعية المنطقية ، بل انه ليس ايضا منطق مل الذي لم يعد يجدي بحثه للظاهرة بحثا سكونيا) . . وتريد ان

(١) Caudwell: Further Studies in a dying Culture p. 235

(٢) Cornforth: Science Versus Idealism p. 146

(٣) Ibid: p. 105.

مسابقات «الآداب»

يسر مجلة «الآداب» ان تعلن عن اقامة ثلاث مسابقات سنوية لاختيار:

- (١) افضل رواية عربية
- (٢) افضل ديوان شعر
- (٣) افضل دراسة عربية

شروط المسابقة

- (١) يحق لجميع ابناء العربية ان يشتركوا في هذه المسابقة .
- (٢) يقدم الكتاب مخطوطة الى ادارة المجلة باسم الكاتب الحقيقي .
- (٣) يشترط الا يكون الكتاب قد نشر قبل الان . ولا مانع من ان يكون قد نشر في الصحف والمجلات .
- (٤) لا تحديد لموضوع الرواية او الدراسة او الديوان
- (٥) تقبل المخطوطات حتى اخر ايلول (سبتمبر) ١٩٦٠ ، وتتألف ثلاث لجان تحكيمية يعلن عنها فيما بعد على ان تصدر احكامها وتعلن نتائج المسابقات في عدد كانون الثاني - يناير - ١٩٦١
- (٦) يمنح كل من الرواية والديوان والدراسة الفائزة جائزة قدرها الف ليرة لبنانية او ما يعادلها
- (٧) تعود حقوق نشر الكتاب الفائز الى « دار الآداب » ولا يتقاضى المؤلف حقوقا اضافية على الطبعة الاولى التي لا تزيد على ثلاثة الاف نسخة .

في التفكير العلمي نفسه - اي مبادئ المنطق الدينامية - ومن ثم تصبح نظرية وارشاد في العمل العلمي « (١) » . اذا كان هذا هو سيرها ، واذا نحن اتخذنا كل هذا ارضية ضرورية ، افلا يحق لنا الان ان نبدأ في دراسة القضايا الفلسفية وان تكون اولها قضية الموت مثلا ؟

مجاهد عبد المنعم مجاهد

Cornforth: Theory of Knowledge p. 140 (١)

وفلسفة الظواهر ، والفلسفة الوجودية الخ . . لا تأتي الا بضروب الى هذه الافكار الاساسية التي ترتد حتما الى التأكيد المثالي القديم : ليس ثمة موضوع بلا ذات « (١) » . وهذه الاشكال جميعا انما تعوق مجد الفلسفة ومجد الانسان على السواء . .

ليست الفلسفة الحديثة كما ظهن هويتهد : « تميل الى الذاتية ضد النظرة الموضوعية عند القدماء » (٢) بل ان هذا هو مظهر فلسفة بعينها فقدت نفسها وفقدت فعاليتها وان هي الا تعبير عن اناس انتهوا ولكنهم يواصلون الصراخ . . ولن تنتهي الفلسفة - كما يظن البعض - في عصر العلم . . اذ ستظل هي الحارس للانسان والعلم . . لكي ترد على واحد مثل سارتر الذي يسخر بقوله : « المادي يعتقد انه بانكار ذاتيته فقد جعلها تختفي (٣) » . . فتبين ان المادي لا ينكر الذاتية لكنه يجعل اسبقية الواقع هي نقطة الانطلاق . . وبهذا تكشف الفلسفة عن محاولة مونييه Mounier الخبيثة في فلسفة الشخصية Personalism من « فرملة » الوجودية واكسابها طابعا اجتماعيا . . وتقف الفلسفة بحكم تعميمها من العلم ضد كل من يريد هدم العلم حتى ولو كان اينشتين الذي يتوهم ان « موضوع العلم جميعه سواء كان علميا طبيعيا او سيكولوجيا هو ان يربط تجاربنا في نسق منطقي » (٤) او تعريف بور Bohr للعلم : « مهمة العلم هي ان يوسع مدى تجربتنا ويرجعها الى النظام » (٢) . . او قول كارل بروسون Pearson « المادة هي اللامادي الذي هو في حركة » . . (٦) لكي تكشف الفلسفة عن ان هذا الفريق من العلماء انما ينطلق من الذات لا من الواقع الموضوعي حيث يدخل فكر الباحث في جوهر الواقع الخارجي . .

فاذا كان هذا هو سير الفلسفة في التاريخ . . ان تنزع عن نفسها طابع المذهب وان تصبح هي المنهج وان « جمال البحث الفلسفي المستقل قد ضاق باستمرار » (٧) . . وان تكون هادية للعلم وسلاحا له وان تقف في وجه كل من يريد ان يعوق العلم ، فان العلم يصيبه الضرر اذا انفصل عن الحياة الفكرية العامة للعصر ، وقد كان دور الفلاسفة بمثابة هيئة مقاصة للافكار « (٨) وان تحيل المشاكل التي تعرض للانسان الى العلم وان تزيد من وعي الانسان بسبب تعميمها من العلم فهي منه واليه « وستنقطع الفلسفة من ان توجد في شكلها القديم كنظرية للعالم مستقلة عن العلم وفارضة نظرتها عليه ، بل ستتطور كاستخلاص للمبادئ الموجودة

- (١) غارودي : ص ٥
- (٢) Whitehead: Science and Modern World p. 140.
- (٣) Sartre: Literary and Philosophical Essays p. 188
- (٤) Ch. Dingle: Through Science to Philosophy p. 24-25
- (٥) Ibid: p. 24.
- (٦) عن غارودي : ص ٢٣
- (٧) Cornforth: Science Versus Idealism p. 248.
- (٨) فانتون : العلم الاغريقي ص ٩١